

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
<https://palstinebooks.blogspot.com>

على طريق الأصالة

٥

اللغة العربية

في مواجهة الفناج الأجنبيّة

أنور الجندى



دار الأصيل

على طريق الاتصال

(٥)

اللغة العربية

في مواجهة اللغات الأجنبية

أنور محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية

أرجو أن أتناول هذا الموضوع الخطير من وجهة نظر باحث إسلامي يؤمن بإقامة منهج جامع للفكر الإسلامي ومن خلال إيمان صادق بأن اللغة العربية مستهدفة من جهة القرآن والوحدة الإسلامية وفي الحق أن كلمة (المواجهة) كلمة رقيقة لا تمثل حقيقة الصدام الذي وقع فعلا بين العربية واللغات الأجنبية .

. . .

لقد بدأت (المواجهة) بين اللغة العربية وبين اللغات الأجنبية منذ اليوم الأول لدخول النفوذ الأجنبي إلى قلب الأمة الإسلامية ، وكان تركيز التغريب والغزو الثقافي على اللغة العربية بالغ الدقة من حيث أنه المفتاح لكل حرب توجه نحو العقيدة أو الفكر أو التراث أو التاريخ أو القرآن نفسه فقد كان دعاة التغريب في مخططاتهم يعرفون مدى إرتباط اللغة العربية الفصحى بانتشار الدعوة الإسلامية ومدى إرتباط جماعة المسلمين (خارج نطاق البلاد العربية) باللغة العربية بوصفها لغة عقيدة وفكر وثقافة ، يجب أن تكون تالية للغة البلاد

الأولى ، بل لقد كانت لغات الترك والفرس والملايو والأوردو تكتب جميعها بالحروف العربية .

ولقد كان تركيز النفوذ الأجنبي على اللغة العربية هو بمثابة الحرب على القرآن الكريم نفسه فإنه إذا نزلت اللغة إلى مستوى في البيان هابط واستمرت على ذلك التنازل جاء اليوم الذي يبدو بيان القرآن وكأنه مختلف وغامض لإرتفاعه عن مستوى اللغة العامة وعند ذلك يفصل القرآن عن لغة الكتابة ويقرأ بقاموس ويتحقق هدف النفوذ الأجنبي بعزل اللغة العربية لا قدر الله .

إن من يراجع الوثائق التي بدأت بها عملية الاحتلال البريطاني لمصر تكشف إن أول أعمال الإحتلال هي وضع الخطة لحطيم اللغة ، يبدو ذلك واضحاً في تقرير (لورد دوفرين عام ١٨٨٢ حين قال : إن أمل التقدم ضعيف (في مصر) طالما إن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن - كما في الوقت الحاضر) .

وحين تحدثت التقارير عن الأزهر وضرورة تطويره تبين المخطط النعري كاملاً فقد كان القرآن والإسلام هما الهدف ، وقد توالت هذه الحرب . ليس في مصر وحدها بل في الشام والمغرب بأقطاره كلها في محاولات قدمها كرومر وبلانت من ناحية ولويس ماسنيون وكولان في المغرب ، ثم تقدم رجال يحملون أسماء عربية بعد أن مهد لهم الطريق ويلكوكس ، والقاضي ديلبور ، تقدموا للعمل وحيل

بين اللغة العربية وبين أحكام المحاكم المختلطة والأجنبية .

وكان التعليم في البلاد العربية المحتلة يتم ككله باللغات الأجنبية (الإنجليزية في مصر والسودان والعراق) والفرنسية في سوريا وتونس والجزائر والمغرب) فقد كانت خطة النفوذ الأجنبي ترمى إلى :

أولاً : تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية .

ثانياً : تقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .

ثالثاً : إبتعاث أبناء المسلمين إلى الغرب لدراسة لغاتهم وكان ذلك إيماناً بأن اللغة هي الوجه الثاني للفكر وأن من يجيد لغة أمة لا بد أن يعجب بتاريخها وفكرها ويصير له إلتزاماً من نزع ما إلى هذه الأمة وكانت الحملة على اللغة العربية المصححى من خلال حجج ضعيفة وأهمية منها : صعوبة اللغة ، ومنها التفاوت بينها وبين العامية .

وانطلقت في ظل هذا التيار التفريري الشديد الخطورة : تلك الكأمة المسمومة التي تقول : إن اللغة العربية لغتنا وهي ملك لنا ومن حقنا أن نتصرف فيها وكيف يحق لنا (حتى لو كنا كل

العرب) أن نتصرف في لغة الثقافة والعقيدة والإيمان لآلاف ملايين من المسلمين .

لقد رافق التنافس بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية على أفق الثقافة الإسلامية مخطط خطير كان يعمل على بث الثقافة الغربية وحجب مفاهيم الفكر الإسلامي من خلال النفوذ الاستعماري الذي فرض على التعليم لغته ومناهجه وعلومه التي تختلف إختلافاً بينا عن علوم الإسلام سواء في مجال التربية أو النفس أو الأخلاق أو الاجتماع .

ومن ثم برزت أجيال من المثقفين لهم طابع غربي ينظرون في تقدير صحيح للغرب وتاريخه وأعلامه ويزدرون تاريخ أمهم وقيمهم ففكرهم وهم لم يقرأوه إلا عن الإستشراق والتبشير وكان فرض اللغات الأجنبية في مختلف أقطار الأمة الإسلامية عاملاً هاماً في فرض ثقافتها ووجهة نظر أهلها وفي الوقوف موقف الإعجاب بالفاصل والعجز عن مواجهته .

ومن يدرس تجارب التعليم الغربي في البلاد العربية (وهو غير التعليم التبشيري) تجد الولاء الواضح للنفوذ الغربي ، بينما إنحسرت الثقافة الإسلامية في الأزهر والزيتونة والقرويين وخلاوى تحفيظ القرآن دون أن يكون لأصحابها أثر واضح في حركة الحياة الاجتماعية ورغبة في عزلهم عن التوجيه ، ولم يخل الأمر من محاولات تطوير هذه

المجاهد على نحو يفرغها من رصيدها الإسلامى القائم على الأصالة والحفاظ على الذاتية الإسلامية من الانصهار أو الذوبان في بوتقة الحضارة الغربية .

ومن خلال هذه التبعية الثقافية للغات الغربية كان الأثر البعيد في تبني مناهج الغرب في دراسة اللغة العربية والقرآن وتاريخ الإسلام بوفق مناهج التفسير للمادى للتاريخ وهي مناهج لا تعترف بالوحى أو النبوة أو الغيب وقد قامت على دراسات كان لها شهرتها البعيدة ولكن اليقظة الإسلامية استطاعت أن تكشف قصورها وعجزها عن العطاء الاصيل .

إن من يتابع إقتحام اللغات الاجنبية للغة العربية في مهدها هو أوضها ليجد ضرورة مبررة حيث يتعقب النفوذ الأجنبي للغة العربية الفصحى في إصرار وموالاته ويطاردها حتى لا يدعها تلتقط أنفاسها، وهو حين يطاردها يحرس بالانتقام من شيء أبعد من اللغة العربية : من القرآن الكريم ونفوذ الإسلام الذى يتنامى في المناطق التى بدأ يسيطر عليها .

في إفريقيا حيث تعمل البعثات التبشيرية من أجل معارضة نمو الإسلام يوجه إلى اللغة العربية أكبر قدر من المقاومة والحرب فقد كانت لغة العرب لها السيادة في مختلف أقطار إفريقيا قبل أن يعتمد

الاستعمار إلى زحزحتها عن مكانها وإعلاء لغاتة الغربية ولهجات إفريقيا الساذجة ، فقد جعل الإستعمار اللثة العربية كبرى فرائمه حتى فصل بين نمر الإسلام وإمتداده وبين لغة القرآن الكريم ، لقد كان اللغة العربية الحظ الأوفى في الانبثاث في اللهجات الصومالية والزنجبارية أولاً : لرجوع الصلة بين شرق إفريقيا وجزيرة العرب إلى أقدم عصور التاريخ وهو ما يتبين مثلاً من وجود كلمة (ياريهو) منقوشة على جدران الدير البحري بطيبة .

والسبب الثاني لتغلغل اللغة العربية في اللهجات الصومالية والزنجبارية يرجع إلى أن أهل الصومال وزنجبار كانوا على أثر شيوع الإسلام بينهم في عهد بنى أمية وهجرة الزيديين إلى تلك الأصقاع في حاجة إلى تفهم معاني القرآن والاجاديت وأقوال الاتعة على أن رطانتهم بلهجاتهم تلك ظلت على الرغم من توفرهم على درس اللغة العربية غالبية على ألسنتهم ففشا بينهم لجمعهم بينها وبين اللغة العربية لحن جديد عرف في شمال خط الإستواء باللغة الصومالية وفي صوته باللغة السواحلية وصارت كلتاها من ناحية ثانية اللغة العربية فيها مزيجاً من كلمات زنجية بجمته .

وقد طرأ التشويه والتحريف على اللغة السواحلية باستيلاء البرتغاليين على حوض المحيط الهادى وسواحل شرق إفريقيا ، وقد عمد الاستعمار إلى إحلال اللغة الإنجليزية محل اللغة السواحلية في زنجبار وكينيا وتنجانيقا وأوغندا ، وكذلك محل اللغة العربية أيضاً .

وفد أشار باحثون كثيرون إلى عمق الخطة التي اصطنعها الاستعمار الفرنسي في المناطق التي احتلها من أفريقيا فقد كان يحاول أن يبث في عقول الأطفال أنهم من الغال الفرنسي فيقول (ألبير بتفرد) لقد ضحكنا كثيراً عندما كنا نسمع ونحن أطفال أن أجدادنا غالبون ، وقد فرضت فرنسا على الطلاب أن يعتبروا الفرنسية لغتهم القومية ، أما في ساحل العاج فقد كان الأوامر تقضى بمنح التلاميذ من استعمال لغتهم الأم منجماً باتاً بينما كانوا لا يفهمون كلمة واحدة من الفرنسية ، وكانت تفرض العقوبات على المتمردين الذين لا يستطيعون أن ينصروا في البروتقة ، وفي نيجيريا كان الإنجليز قد حالوا بين المسلمين والتعليم وكانوا يشترطون أن يتغير المسلم إسمه إلى إسم لاتيني ويحضر الصلوات في الكنيسة ويدرس التاريخ الاستعماري كما عمدوا إلى نقل حروف اللغات المحلية من العربية إلى الحروف اللاتينية فضلاً عن عملية القضاء على كتب التراث الإسلامي التي تعرضت للحريق للقضاء على كل أثر علمي عربي بعد قطع التيار الحنباري العربي القادم من شمال أفريقيا ومصر .

وفي غرب أفريقيا عمد الاستعمار الفرنسي إلى القضاء على العربية بعد معركة مع اللغة العربية في الجزائر خلال مائة عام كاملة .

وقد جاء هذا كله بعد أن بلغت اللغة العربية بكل وصف حتى أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نضيف القارة كما أشار إلى ذلك تروماس أرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ، وبعد أن كانت بعوث أفريقيا ترسل إلى مكة المنكرمة والأزهر أصبحت ترسل إلى الغرب .

وبعد أن كانت اللغة العربية قد شاركت بحروفها وألفاظها في كل اللغات الأساسية في أفريقيا وهي الهوسا والماندنغو والوولوف والسواحلية والصومالية واللغات النيجيروالدناكل في أثيوبيا وأرتيريا عمد النفوذ الاجنبي إلى إيقاف كل ذلك وإحياء الثقافات الإفريقية القديمة وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب وإقامة القوميات المحدودة المحلية في نطاق قبلي ليستغلوا هذه الروح في إقامة سد مرتفع في وجه انتشار اللغة العربية مع نشر الثقافة الإنجليزية والفرنسية من خلال اللغتين ليتحقق الاستعمار الثقافي الكامل .

وهكذا أصبحت اللغتين الإنجليزية والفرنسية - كل في المنطقة المسيطرة - لغة أساسية في كل مراحل التعليم المختلفة وغلبت اللهجات القومية ولغة المستعمر - ليس على مناهج التعليم فحسب بل على أعمال المصارف والمحاكم والدواوين .

وفد أشار إلى ذلك المبشر زويمر حين قال : يوجد في إفريقيا لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادى وفي مجال الدعوة إلى الله وهما الإنجليزي والعربي وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع القوة والمال ويريد أن يلتهم كل منهما الآخر ، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشرى : أعنى الصراعية والإسلام .

وفي هذه الجولة استطاعت اللغات الأجنبية كسب قصب

السبق ولكن ليست هذه هي نهاية المباراة .

وفي جنوب شرق آسيا (في الملايو واندونيسيا وتايلاند وغيرها) لا تختلف الصورة كثيراً عن هذا النموذج الإفريقي ، حيث استطاعت اللغات الاجنبية السيطرة و تراجعت اللغة العربية ثم تراجعت الحروف العربية أيضاً في تركيا واندونيسيا .

لقد تنامي أمر اللغة الإنجليزية في العقود الاخيرة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لتوسع نفوذ الغرب واللغة الإنجليزية الامريكية في مناطق الإسلام على النحو الذي حجب اللغة العربية عن مناطق كثيرة وأعجز المسلمين في أفريقيا وجنوب شرق آسيا من التذود بالتراث الإسلامى أو الوصول إلى تصور لمفهوم الإسلام الصحيح نتيجة تغلب الثقافات الغربية ، وسعى التبشير السعى الحديث في كلا المنطقتين لتوزيع الكتاب المقدس ودراسات الغرب التي تقوم على أساس دقيق من الفكر المسيحي .

وبالجملة فقد طاردت اللغتين الفرنسية والإنجليزية لغتنا العربية في مختلف أنحاء العالم الإسلامى وانتشرتا على حسابها فقد كان من الطبيعى حسب سنة التطور أن تسير اللغة العربية في ركاب الإسلام أينما حل ، ولكن النفوذ الاجنبى خلال أكثر من قرنين من الزمان استطاع أن يوقف نمو اللغة العربية في بلادها وامتدادها في البلاد التي انتشر فيها الإسلام ، بل إنه عمد إلى لغاتها التي كانت تكتب

بالحروف العربية فغيرها إلى الحروف اللاتينية ، ومن ثم فقد أحس المسلمون في هذه البلاد ولا يزالون بنقص كبير من حيث أنهم يتلقون الإسلام دون أن يتيسر لهم من أسباب اللغة العربية ما يعينهم على فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وفي أندونيسيا وأرخيبيل الملايو تجد الصورة قائمة فقد تعرضت أندونيسيا بعد الاستقلال للتحديات في مجال اللغة فكثبت اللغة الأندونيسية بالخط الرومانى بدلاً من الخط العربى المحلى وقد فرضت لغة جديدة بخط جديد حتى صارت اللغة الأندونيسية بالخط الرومانى وأصبحت العربية لغة أجنبية لا يقرمون ولا يكتبون بها رغم توجه أكبر عدد من الأندونيسيين إلى المدارس والجامعات في الخارج ، وأصبح العدد الأكبر قادراً على أن يقرأ اللغات الغربية وخاصة الإنجليزية ، أى اللغة الأندونيسية الجديدة فقد صيغت في قالب الثقافة الغربية ، على حد تعبير السيدة مريم جميله التى تقول: إن الصحف لا تنقل المصطلحات والكتابات الإنجليزية وحدها وإنما تتعدى تأثيرها إلى المجالات الإسلامية الدينية التى تكافح الاحتفاظ بحرية العقيدة ولكنها لا تستطيع ولا تقدر أن تكافح الاتجاه اللغوى .

ويدرك الشباب المعلم في أندونيسيا بأن هذا التغريب اللغوى يجعل المسلمين في أندونيسيا منغزلين لغريباً عن الدول الإسلامية الأخرى .

﴿ إيقاف اللغة العربية ﴾

هذا عنوان المخطط ، ولقد جاء هذا الإيقاف عن طريق القسر والتحدى وبفعل عوامل غير طبيعية أقامت السدود أمام نمو اللغة العربية وسيرها مع الإسلام في خط واحد ، وخاصة في المناطق التي اتسع فيها نطاق الإسلام من قبل ، ولولا هذه المحاولات التي تقودها قوى التبشير العالمية والتي تفرض على مناهج التعليم في تلك البلاد لغات أجنبية ولهجات عامية لما استطاعت قوة أن تحول بين العربية الفصحى ومسيرة الإسلام لأنها اللغة التي تحمل القرآن الكريم دستور الإسلام ومنهج الاجتماعى والفكرى وتحمل السنة والفقہ والقراءات .

واليوم وفي كثير من البلاد التي تحررت من نفوذ الاستعمار لا يزال النفوذ الفكرى يزين لأهلها ويفريها بمدارس تقوم دراستها وبرامجها على اللغات الأجنبية ، فضلا عن المدارس الجديدة التي يسمونها مدارس اللغات ، وكذلك الأمر في معاهد الألسن التي لا تقوم برامجها على اعتبار اللغة العربية هي الأساس ، فالمفروض أن تكون كل اللغات التي يتعلمها العربى أو المسلم خادمة للفكر الإسلامى ، وإنما تقوم معاهد الألسن على فلسفة مغرقة في التبعية والولاء الأجنبى ويطمع المشتركون فيها أن تحتضنهم الدول الأجنبية في مناصب وأوضاع متميزة يحترمون فيها خصوم أمتهم ، ولا يفوتنا أن نثنى على الجهود التي يقوم بها أهل الفكر في بناء المدارس الإسلامية والعربية في كل

بلاد العرب والإسلام لحماية النشء من أخطار مناهج التبشير والتفريب .

ولكن هل توقف المسلمون والعرب عن المقاومة ؟
الحق أنهم لم يتوقفوا وما زالوا يجاهدون ويقاومون ما وسعهم الجهد والمقاومة ، فما تزال للبحث التي ترد إلى الأزهر الشريف والعواصم العربية تعود وقد أعدت لحل لواء البيان العربي وتدریس المواد الإسلامية ، وتنقية اللسان القومي من العجمة والاقتراب من الاصاله على نحو واسع لا تقطعه إلا مؤامرات النفوذ الاجنبي التي لا تكف المحاولة دون بلوغ الغاية .

. . .

بقى بعد ذلك أن نعرض للمشبهات التي طرحت في أفق اللغة العربية من أجل خلق روح الكراهية لها بين أهلها وهي شبهات تصدى لها الكثيرون وكشف فيها الأبرار من ذوى الغيرة والإخلاص .

﴿ أولاً ﴾ إن تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية ، هي دعوة عربية ترمي إلى التحلل من القوانين والأصول التي صانت الفصحى خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد فإذا تحللنا من هذه القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة كان نتيجة ذلك تبديل الالتمنة واتساع رقعة الاختلاف بين الأقطار العربية حتى تصبح

عربية الهند شيئاً يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول أو
عربية اليوم وتصبح قراءة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي
ككله متعذرة على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري اللغات.

وقد كان تطور اللغات الأوروبية نكبة على أصحابه قطعهم أمماً بعد
أن كانوا أمة واحدة فالوا في خلاف وحروب ثم إنه لم يحكم على
تراثهم القديم المشترك وحده بالموت بل هو لا يزال يقضى بين الحين
والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت حتى
حا يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير
الذي مات في القرن السابع عشر، أما نحن العرب فإتنا نقرأ القرآن
ونفهم رسائل الجاحظ فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبه وأسلوب
للمعاصرين .

(ثانياً) هناك معركة العامية التي دعا إليها بعض الشعوبيين في
إحدى البلاد العربية بقصد القضاء على وحدة الأمة تحت لواء الفصحى
وهي الدعوة التي أفرزت شعر التفعيل، ونظرية الحداثة وإسقاط
القافية، وهي معركة خاسرة، فقد ثبت أن الفصحى أطوع في التعبير
من العاميات كذلك فنحن لسنا في حاجة إلى لغة دارجة ثالثة كلفة
وسطى بين العامية والفصحى وأخطر ما في هذا الاتجاه تبنى اللهجات
الدارجة والمحكية للمسرحيات والتثيليات وما يسمى بالأدب
الشعبي .

كذلك فإن الفجوة بين الفصحى والأهجة العامية ليست بهذه الصورة التي يحاول أعداء اللغة إظهارها بها وأن الخلاف بين عبارة الكتاب العلماء وبين عبارة العامة أمر مألوف في كل أمة وفي كل لغة حية .

(ثالثاً) الهجوم على الحروف العربية بينما تبين بشهادة المنصفين أن هذه الحروف هي أصلح حروف الأبجديات قاطبة لكتابة الألفاظ ومن أكثرها دقة في ضبط الأصوات ، وقد استطاعت أن تؤدى من أنواع الكتابة ما لم تستطع أى أبجدية أخرى أن تؤديه فقد استطاعت الحروف العربية أن تكتب لهذه اللغات جميعاً دون تعديل أو تغيير أو إضافة في أشكالها ولقد اتخذ الذين دعوا إلى الكتابة العربية بالحروف اللاتينية بما حدث في تركيا غير مقدرين الفارق بين اللغتين وكذلك لم يظفرتوا إلى اختلاف العربية عن اللاتينية وما نقرعت لأيه من لغات ، وقد فاتهم أن اللغة العربية تعبر عن فكرة وثقافة عمدة لأمة واحدة في تاريخها البعيد إلى حاضرها المشرق ، ما تزال مطعمة بالحياة والقوة وأن تطورها وتفاعلها لم يتوقف وهي لغة أمة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والفكر والقيم والمصير أوثق ارتباط وفوق ذلك فهي لغة القرآن أساس الحضارة والفكر والثقافة العربية الإسلامية أما اللغة اللاتينية فلم تكن لغة الغرب كله ولم تستطع التغلب على اليونانية فضلاً عن أنها كانت لغة أرسطراطية لم تتغلغل في حياة العامة .

(رابعاً) محاولة تطبيق مناهج اللغات الأوروبية على اللغة العربية ودراسة اللهجات والعامية ، ولما كان المنهج الوضعي الحديث يجعل أساسه في دراسة اللغة هو دراسة اللهجات والتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب فإن الهدف هنا هو صرف الأخطار من علاقة اللغة بالدين في سبيل إحياء القوميات الحديثة في الغرب ، وإذا كان الأوروبيون قد فرقوا بين اللغة العربية المستعملة في النصوص المقدسة والطقوس وبين اللغة التي يتكلم بها الناس في حياتهم اليومية ومصالحهم الخاصة فإن الفصحى ليست هي اللغة اللاهوتية أو لغة العبادة فحسب واسكنها تجمع بين الغرضين ، كذلك فقد جمعت اللغة العربية بين الأسلوب الديني والأسلوب العلمي وعبارة لغة الدين عبارة كهنوتية لا تنطبق على العربية وهي مرتبطة بالمسيحية في الغرب .

وهنا فإنه يلزم أن يكون لنا موقف إزاء نظريات علم الأصوات الحديث فلا نأخذها قضية مسلبة فإن العلوم الإنسانية الغربية الواحدة تختلف اختلافاً واسعاً عن مفهوم العلوم الإنسانية الإسلامي وقد درسنا هذا بإفاضة في الملتقى الإسلامي بالجزائر في الشهر الماضي ، كذلك فإن هناك اختلافاً واسعاً من حيث المضمون والتاريخ والظروف بين اللغة العربية واللغات العربية وما ينطبق على هذه اللغة ليس بالضرورة صالح للتطبيق على العربية التي تميزت بارتباطها بالقرآن الكريم الذي حماها من عمالية الانهيار والتي تم في الغرب كل ثلاثة قرون ونحن نطالب بنظرية خاصة لدراسة اللغة العربية من حيث اتصالها

بالقرآن وخلقودها واستمرارها حتى الآن ونحن يجب أن نرفض تطبيق
 مناهج اللغات الأوروبية على اللغة العربية لأسباب علمية بحتة ، ويجب
 أن يكون واضحاً أن اللغة العربية هي مفتاح فهم الإسلام والإحاطة به
 وبدونها لا تتحقق معاملة ولا تحكى للناس حقائقه وتعاليمه ، وهذا
 سر الحلة عليها وقد قبلت اليابان ببعض شروط المحتل الأمريكى بعد
 الهزيمة ما عدا شرطاً واحداً هو قبول إدخال بعض التعديلات على
 اللغة اليابانية حيث كان الأمريكيون يريدون أن ينتزعوا منها
 بعض مقوماتها .

. . .

ومن هنا فنحن مطالبون بقدر أكبر من الوعي واليقظة إزاء
 مؤامرة احتواء اللغة العربية وتفريغها من مقوماتها بعد مؤامرة
 حبسها عن النماء والانتشار في العالم الإسلامى .

وأخطر ما ندعو إليه هو القدرة على التحرر من سيطرة اللغات
 الأجنبية على اللسان العربى وضرورة تعريب التعليم كمنقطة انطلاق
 إلى الأصالة وإيماناً بأن لغة القرآن هي لغة الحياة وأنها ليست لغة
 أثرية بل لغة متجددة وقادرة على استيعاب متغيرات العصر وحقائقه ،
 وقد ظل التعليم فى القصر العيني سبعين سنة باللغة العربية حتى احتل
 مصر ، وأمامنا تجربة كلية الطب فى دمشق .

(ثانياً) ضرورة تعلم اللغات الأجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطل اللغة الجديدة ولا. معارضاً للولاء الأصيل فقد حرص النفوس الأجنبية أن تنقل فكره عن طريق لغته وأن يتحقق لها ولاء في نفوس وعقول أبناء الأمة الواقعة تحت سيطرته

كذلك فنحن مطالبون بأن نحمي لغتنا من اقتحام الفاظ اللغات الأجنبية عليها فإن ذلك يجعلها مهملته خالية من جمال صنعته الفريدة ونسيجها المنسجم ، فالإسراف في استخدام الدخيل من اللغات الأخرى له عاذيره التي يعرفها شيوخ اللغة ، كذلك نحذر من خطر الدعوة إلى إسقاط حركات الإعراب .

كذلك فنحن لا نقبل الواقع التي تدنت له الفصحى اليوم عن طريق الصحافة والتلفزيون والمسرح ولكننا يجب أن نعمل على التمسك بلغة الحوار حتى يقترب دائماً من بيان القرآن لا ينفك عنه .

ومن الضروري حماية (المجلة القرآنية) التي دعى العلامة مصطفى صادق الرافعي إلى تجاوزها لينال الشهرة الضخمة والمسكافة العليا .

وإذا كان لنا أن نأخذ من الغرب فلنأخذ من الفرنسيين إن اللغة هي الجينية .

وفي ألمانيا فإن اللغة هي مادة المواد والمادة العليا حيث يتصل بها كل الفكر ، وما سمعنا في الغرب من يقول قولة الظالمين إن اللغة مجرد أداة أو أنها أداة غير طيبة ولا صالحة يريدون محوها وهدم أصلاتها الإسلامية ، ولقد كان عليّ أن أتحدث عن عظمة اللغة العربية واتساعها وتعدد معانيها ، وقد أمكن حصر ماثة ألف مادة من كلامها وأسرد على مسامعكم تقدير باحثين أجانب مختلف معهم في كل شيء لهذه اللغة فضلا عن مئات المصطلحات العربية في اللغات الأوربية، ولكنني ألتزم بموضوع المحاضرة وأرجو أن أكون قد وفقت إلى تجلية القضية .

واحذر من مراكز تعليم اللغة العربية في جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين وغيرها ، فإن الذين ذهبوا إليها شهدوا بأنها تنصر أبناء المسلمين غير العرب من تعليم العربية وتردد قول المستشرقين والمبشرين في اتهامها بالجمود والعقم وبأنها لغة لا تصالح للحياة إلا لمجتمع بدوي وأنها لا تساير الحياة الحضارية

والحق أن حروب اللغة العربية هي حرب الإسلام والقرآن .

لأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته

الأصلية وحفظها من عوادي الفناء وسيحفظها على مر الدهور
وستموت اللغات الحية المنتشرة في العالم اليوم كما ماتت لغات حية
كثيرة في سالف العصور إلا العربية فستبقى بمنجاة من الموت
وستبقى حية في كل زمان مخالفة للنواميس الطبيعية التي تسرى على
سائر لغات البشر، ولا غرو فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية،
فالقرآن هو الحصن الحصين الذي تحجب به للغة العربية وتقاوم
أعاصير الزمن وعواصف السياسة المعادية ووسائلها الهدامة

هذا وبالله التوفيق



تعقيب على التساؤلات الموجهة

علينا لكي تكون القضية واضحة من مختلف جوانبها أن نؤكد على الحقيقة التي تقول إن اللغة العربية هي لغة أمة وهي في نفس الوقت لغة فكر وثقافة وعقيدة (لجميع المسلمين الذين يبلغ تعدادهم اليوم ألف مليون) ومن هنا فنحن العرب مطالبون بحماية هذا الوجود الضخم المتعاطم للغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم ولغة العقيدة والثقافة الإسلامية .

ولعل هذا هو ما كان واضحاً في تقدير القوى المختلفة في التعامل مع الفصحى ، ومن هنا جاء ذلك البحث عن المراجعات التي وقفتها اللغة العربية إزاء اللغات الأجنبية فقد كان من الأمور الطبيعية أن تشير اللغة العربية في ركاب الإسلام أين ذهب فتكون لغة المسلمين في كل مكان ، التي يستمدون منها مفاهيم عقيدتهم وثقافتهم وتعاملهم ، وهذا هو الأساس الممكن للوحدة الإسلامية الجامعة

ولما كان الهدف هو إبقاء المسلمين في قوالب الاقليميات والقوميات فقد وجهت إلى اللغة العربية المدفعية الثقيلة بهدف تحطيم حاجز الفصحى ، وإدخال العاميات واللغات الأجنبية ، ومن هنا ظهرت دعوات إحياء العامية أو ما يسمى اللغة الوسطى أو مشروع اللغة العربية الأساسية، كل هذا كان يهدف إلى إيقاف نمر الفصحى وتوقفها

عن حركة الإسلام من ناحية وعلى إيجاد مسافة واسعة بين البيان العربي
القرآني وبين الأسلوب الجاري على ألسنة الكتاب والصحف بهدف
شق وحدة اللسان والكلمة في محاولة كشف عنها الكثيرون وهي إدخال
العربية إلى المتحف كما أدخلت اللاتينية في الغرب وإقامة لغات إقليمية
من خلال اللهجات كما فعلت أوروبا .

ومن هنا يحمل هؤلاء الدعاة التي يصفون أنفسهم بالتجديد والتقدم
مقولة باطلة هي القول بأن الامة العربية هي لغتنا ونحن أصحابها ولنا
حق التصرف فيها ، وهو قول باطل بكل المقاييس وغير صحيح
ومردود يردده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمي ويرده أن هذه اللغة
أمانة لدينا للامة الإسلامية كلها التي تملك فيها مثل ما نملك والتي لم
نفوضنا في مثل هذا التصرف .

وربما يكون هذا صحيحاً بالنسبة للغات الأوروبية ، أما العربية
فإنه منذ أن نزل بها القرآن فقد أعطاهم واقعاً مختلفاً ، إذ لم تصبح
العربية لغة أمة هي العرب وحدهم وإنما هي لغة فكر وعقيدة
ودين وثقافة .

ثانياً : حين يضمون تجربة اللغة اللاتينية بالنسبة للإنجيل في
أوروبا كصورة نموذجية للمحاولة يجهلون مدى الفارق للبعد بين
اللغتين وينسون أن الإنجيل لم ينزل باللغة اللاتينية أصلاً وإنما
ترجم إليها .

ومن هنا فإن إرتباط الفصحى بالقرآن هو وحده الذى حماها
 عن أن تتحول طبعاتها إلى لغات مستقلة وسيظل هذا الإرتباط قائماً
 بين المسلمين وبين لغة الضاد الفصحى ، لغة القرآن ، قائماً إلى أن يرث
 الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها .

. . .

ومن هذه النقطة . نقطة علاقة القرآن باللغة العربية نود تلك
 النظريات الوافدة التى تريد أن تحاكم اللغة العربية إليها ، للإختلاف
 العميق بين هذه اللغات التى وضع منهج علم اللغة فى ضوءها وقد وقف
 أعلام الفكر الإسلامى فى وجه هذه المحاولة وكشفوا مفارقاتها .

ويعينى بالأكثر فى هذا المجال أن أركز على الموضوع الذى
 حددته هذه الندوة المباركة وهى محاولة اللغات الأجنبية فى الزحف
 المساحق ، تاركة الفصحى عاجزة عن إمتلاك إرادتها فى بلادها ، وقد
 حجبتها النفوذ الأجنبى أكثر من ثلاثمائة عام عن النماء والامتداد فى
 محاولة خطيرة ترمى إلى أن تسيطر اللغات الأوربية على الثقافة
 العربية والإسلامية ، فى الوقت الذى تعرف فيه أن إقصاء اللغة
 هو قضاء على المفهوم الأصيل للفكر الإسلامى والثقافة العربية
 على أساس أن اللغة هى أحد وجوه الفكر بمعنى أن سوقنا إلى اللغات
 الأجنبية يعنى بالتبعية صهر المسلمين والعرب فى فكر الأمم التى تمرض
 علينا أيتها .

وقد وقف الفوز الفكري والتفريب في وجه إمتداد اللغة العربية إلى كل مكان ذهب إليه الإسلام ، وجرت المحاولة في عدة محاور :

أولاً : تحويل أبجدية اللغات الإقليمية إلى اللاتينية وكانت تكتب أساساً بالحروف العربية ، كما حدث في أندونيسيا وبعض بلاد إفريقيا وآسيا .

ثانياً : إعلاء شأن اللهجات العامية لحجب العربية الفصحى .

ثالثاً : التوسع في فرض اللغات الأجنبية لغة المختلئين .

فالمعروف أن النفوذ الأجنبي يعزز تعلم اللغات الأوروبية في بلادنا بهدف أن ينتقل الفكر والذوق والوجدان مع اللغات الأجنبية فيقرب تماماً .

ولذلك فإننا نطالب بأمرين أساسيين :

(١) أن يكون هناك منهج لتعلم اللغات الأجنبية في بلاد العرب والمسلمين قائم على أساس أن تكون هذه اللغات في خدمة العربية الفصحى وأن تعيش في ضوئها .

(٢) أن يكون هناك منهج للترجمة قائم على أن يقدم للمسلمين

والعرب كل ما من شأنه أن يحمي كيانهم الفكري من التمزق أو
 الاحتواء وفي القارة الإفريقية وفي جنوب شرق آسيا ما زال المسلمون
 يقاومون احتوائهم ويصرون على التمسك باللغة العربية ، لغة القرآن
 ويرسلون أبنائهم إلى المدارس القرآنية والأزهر وخلاوى القرآن وقد
 نشأت في السنغال ونيجريا والنيجر (غانا ولاجوس وزاريا) أقسام
 كاملة لدراسة العربية في جامعاتها ، وهي في حاجة إلى تمويل ومعونة ،
 ولذلك فنحن ندعو إلى التحفظ على منهج تعلم اللغات الأجنبية من
 أجل حماية الفصحى ، وأن تكون اللغة العربية وفكرها هو الأساس
 في تكوين ثقافة المتعلمين فالأمم تفكر باللغة قبل أن تفكر
 بالفكر نفسه .

. . .

وما زلت أرى أن مناهج علم اللغة الحديث هي أكبر التحديات
 التي تواجه الدارسين العرب والمسلمين من حيث أن هذا المنهج يعارض
 مفاهيم الفكر الإسلامي وهو لم يحد في اللغة العربية استجابة لأنه لم
 ينشأ في رحابها وإنما نشأ في رحاب اللغات التي انشقت عن اللغتين
 اليونانية واللاتينية والتي لم تكن في الحقيقة إلا لهجات عامية حلت
 محل اللغة الأم ، وهو ما يملأ وجدان خصوم العربية والقرآن
 والإسلام بالظن أنه طريق سيؤدي إلى انحلال الأمة العربية إلى عاميات
 وبذلك يتحقق الهدف الخفي المستور وهو الحرب على القرآن الكريم

ومنهج علم الآلة الحديث يتركز في المنهج الوصفي الذي يجعل أساس دراسة الآلة ودراسة اللهجات والتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب وصرف الأنظار عن علاقة الآلة بالدين في سبيل إحياء تقويمات الحديثة في العرب

ولا ريب أن هذا المنهج قد وضعته القوى التي عملت على تمزيق وحدة العرب أساساً ، فلماذا نقبله ونحن دعاة وحدة عربية هي أساس لوحدة إسلامية كبرى لنا فيها حفاظ على عقيدتنا وتراثنا وقيمنا .

وقد أشار كثير من الباحثين الذين ناقشوا تفاصيل هذا المنهج الوافد إلى أخطاره ومحاذيره ومعارضته لماهية الآلة العربية ، التي تختلف أساساً عن الآلات الأوروبية الحديثة تاريخاً ووجهاً وهدفاً .

وقد رأى الباحثون العرب والمسلمين في هذه المناهج تحدياً حقيقياً للامة والتراث والمستوى البيان القرآني ، ووجدوها حلقة في سلسلة الأخطار والتحديات التي رصدها المفرد الأجنبي لمواجهة الإسلام ولفته وهي في رأيهم مؤامرة لا تختلف عن الدعوة إلى العامية وإحلالها محل الفصحى أو مبدأ الحروف اللاتينية .

نحن طلاب وحدة عربية وإسلامية ، ولا ريب لمن هذه المحاذير
 ترمى أساساً إلى الحيلولة دون تحقيق هدفنا ، ولذلك فنحن نطالب
 بأن تكون علاقتنا باللغات الأجنبية علاقة إفادة من الأساليب
 والوسائل دون أن تحتوينا مذاهب الغرب أو تسيطر علينا .

هذا وبالله التوفيق .



رقم الإيداع ٥٨١٨/١٩٨١

طبعة دار البستان بمصر
٩٢٨١٩ د